

معالم الهوية الوطنية الجزائرية لدى ابن باديس

The features of the Algerian national identity in Ibn Badis

سعاد بولجويجة¹

bouledjoudja.souad@univ-guelma.dz؛ -قائمة- 1945 ماي 8 جامعة

تاريخ الاستلام: 2022/11/ 05 تاريخ القبول: 2022/11/ 06 تاريخ النشر: 2023/01/ 20

الملخص:

إن الاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية ولكنه أيقظها وقواها بتوفير أسباب نضجها وبروزها. لقد قامت هذه الوطنية برد فعل عنيف ضد الاحتلال الفرنسي، وظهرت مرة أخرى في آخر القرن الماضي مستعملة شكلا جديدا، ليتحول نضال الجزائريين من شكله الجهادي المسلح إلى شكله السياسي السلمي بهدف التمسك بالهوية الوطنية. فالهوية الحضارية للأمة تتشكل من مجموعة المقومات الأساسية، وهي: الدين واللغة والقيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية والأدبية، المتفاعلة مع سائر المقومات الأخرى - البيئية والسياسية والاقتصادية والعمرائية - تاريخيا، لا يمكن أن تبرز هوية فرد ولا أمة إلى سلم الحضارة، إلا إذا وضحت معالم الفرد فيها والجماعة، وابن باديس مصلح حاول استعادة ملامح الأمة الجزائرية الغائبة وما كان ليتأتى له ذلك لولا وضوح معالمه وبصماته الحضارية المميزة له، وقد وصف مالك بن نبي شخصية ومعالم هوية عبد الحميد بن باديس بقوله: "لقد كان ابن باديس مناظرا مفحما، ومربيا بناء، ومؤمنا متحمسا، وصوفيا الها... وهو كذلك وطني مؤمن تصدى عام 1936م لزعيم سياسي نشر مقالا عنوانه "أنا فرنسا" فرد عليه ردا حاميا قويا وعلى هذا الأساس أثارنا أن نوضح معالم الهوية الوطنية لدى العلامة ابن باديس وموقفه من مفاهيمها المختلفة لدى رواد الحركة الوطنية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الوطنية، القومية، الإسلامية، العروبة، ابن باديس. الحركة

الوطنية، فرحات عباس

Abstract

The French occupation did not create patriotism, but it awakened it and strengthened it by providing the reasons for its maturity and emergence. This patriotism carried out a violent reaction against the French occupation, and appeared again at the end of the last century using a new form, transforming the struggle of the Algerians from its armed jihadist form to its peaceful political form with the aim of clinging to identity National. The civilizational identity of the nation is formed from a set of basic components, namely: religion, language, social, moral, cultural and literary values that interact with all other components - environmental, political, economic and urban - historically. The group, and Ibn Badis, a reformer, tried to restore the features of the absent Algerian nation, and that would not have happened to him had it not been for the clarity of his features and his distinctive civilizational fingerprints. Malik bin Nabi described the personality and features of the identity of Abdel Hamid bin Badis by saying: [.. Ibn Badis was a brilliant debater, and a constructive educator. And an ardent believer, a Sophia and her god.... He is also a patriotic believer. In 1936 CE, he confronted a political leader who published an article entitled "I am France." Algerian national movement.

Keywords: identity, patriotism, nationalism, Islamism, Arabism, Ibn Badis - the national movement, Farhat Abbas

مقدمة :

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر مارست الإدارة الاستعمارية عددا من السياسات الرامية لطمس معالم الهوية الوطنية مما أدى إلى ظهور نخبة مثقفة وقفت ضد هذه الممارسات من خلال تثبيت الجزائريين في محيطهم العربي الإسلامي الذي لطالما حاولت حاولت السلطات الفرنسية عزلهم عنه ، ولقد كانت لإسهامات عبد الحميد ابن باديس في الحفاظ على الهوية الوطنية أثر كبير في التصدي لسياسة الفرنسة و التجهيل و طمس معالم الشخصية الجزائرية وفي الوقت نفسه الحفاظ على الأصول الجزائرية المتجذرة في العمق فمن هو ابن باديس ؟ ما

مفهومه للهوية الوطنية ؟ وما كان موقفه من ورده على باقي رواد الحركة الوطنية و بالأخص فرحات عباس .

2. مفهوم الهوية الوطنية :

إن هوية أية أمة أو شعب من الشعوب هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون أو يدعون الانتماء إلى هذه الأمة أو الشعب، والهوية نوعان : هوية فردية وهوية وطنية أو قومية. فالهوية الوطنية أو القومية: نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته، والاختلاف في مقومات الهوية الفردية والقومية، هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة. فالهوية الفردية ذات سمات جسدية في الأساس والهوية القومية ذات سمات ثقافية في الأساس (دون أن يوجد أي تناقض بين الهويتين، بل هما ترتبطان بعلاقة جزء بكل...) فالثقافة الوطنية في عمومياتها هي البصمات الخاصة التي تجعل كل أفراد هذه الأمة أو تلك يتميزون (بهويتهم الجماعية) عن غيرهم من الشعوب والأمم... فحدد لي ثوابت مقومات ثقافتك أحدد لك سمات هويتك الوطنية والقومية.¹

ومن هذا المنطق فإن عبارة الاستقلال يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع أو درجات:

- 1- استقلال الجنسية دون الهوية (وضع بعض البلدان التابعة ثقافيا وخاصة لغويا لمستعمرها السابق)
- 2- استقلال الهوية دون الجنسية (وضع الجزائر قبل 1962 وجزء من فلسطين حاليا)
- 3- استقلال الهوية والجنسية معا (وضع كل الأمم المعتمدة في العالم) وفي مقدمتها (الصين اليابان وألمانيا).

في المعجم الوجيز: الهوية تعني الذات، والدلالة الذاتية للهوية تعني الإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي للفرد خصائص متفردة. وتقول الموسوعة الفلسفية العربية أن كلمة "هوية" انبثقت من قبل المترجمين القدامى من ال "هو" لينقلوا المعنى إلى العربية، وبذلك فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح يدل على كون الشيء نفسه²

2. الهوية في فكر الحركة الوطنية - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انموذجا :

إن الشعب الجزائري ومنذ الوهلة الأولى للاحتلال الفرنسي رفع لواء المقاومة ضد كل ما يمس بالهوية الوطنية والشخصية العربية الاسلامية بفضل رجال آمنوا بان الحرية تأخذ ولا تعطى، رجال لم تلهيهم قسوة العيش و الجوع عن المقاومة والجهاد بالمال والسلاح والقلم، ، خلال القرن 19 ومنتصف القرن 20م استمر جهاد القلم والتربية الروحية والتوعية السياسية والفكرية عن طريق الأحزاب السياسية و الجمعيات الاصلاحية ودعوة الشباب الجزائري الى التصدي لكل ما يمس بالهوية الوطنية، وفي ذلك ينادي الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشباب الجزائري مخاطبا اياهم ببعض القصائد الشعرية التي تدعو الى التمسك بالهوية الوطنية وثوابت الأمة الجزائرية مثل قصيدة شعب الجزائر مسلم³

2. 1 عبد الحميد ابن باديس المولد والنشأة :

ولد الشيخ عبد الحميد ابن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر سنة (1889م في مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، وكان الولد البكر لوالديه .ووالده هو السيد مصطفى بن مكّي بن باديس من حملة القرآن الكريم، ومن أعيان مدينة قسنطينة، وقد كان عضواً بالمجلس الجزائري الأعلى، والمجلس العمالي لمنطقة قسنطينة ونائبا عن المدينة وقد عرف دائماً بدفاعه عن دعم مطالب السكان المسلمين بمنطقة قسنطينة. أما أمّه فهي السيّدة زهرية بنت علي بن جُلُول من أسرة عبد الجليل المشهورة . بالعلم، والجاه، والثراء ويرتفع نسبه الى المعز بن باديس بن منصور بن بُلْكَنِي بن زيري بن مناد،⁴

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة سنة 1889م من أسرة معروفة بمكانتها العلمية والسياسية ، وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية المعروفه في أقطار المغرب العربي، في المجلس الأعلى للجزائر ، تربي تربية وكان والده عضوا إسلامية خالصة في كنفه ، ودرس علوم اللغة العربية وحفظ (⁵). القرآن الكريم وعمره ثلاثة عشر سنة وعلى الرغم من عراقته وأسرته في الأمازيغية (البربرية) ، إلا أنه ارتبط بالإسلام والقرآن الكريم بشكل ملحوظ بحيث أصبحت هذه الصفة من أكبر دعاة الإسلام في الجزائر ، ومن (⁶). أكبر العاملين

بنشاط وهمة على إحياء الثقافة العربية سافر الى تونس في التاسعة عشر من عمره سنة ١٩٠٨ لإكمال تعليمه الثانوي والعالي في جامعة الزيتونة ، ثم سافر الى الحجاز سنة ١٩١٢ م ، والتقى برواد الفكر الإصلاحي في الشرق ، من بينهم حمدان لونيبي وحسين أحمد الهندي ومحمد البشير الإبراهيمي ، وانفق مع الأخير على ضرورة تربية جيل من العلماء والمتقنين للنهوض بمهمة إعادة الجزائر الى عروبتها⁷

وبعد عودته من الديار المقدسة سنة ١٩١٣م امتحن التدريس والنشاط الثقافي وبذل الشيخ ابن باديس ومجموعة متميزة من اتباعه في مدة مابين الحربين العالميتين ، جهودا لأجل تطوير الحركة الإصلاحية ، وقد استرشدت هذه الحركة بفكر ونشاط محمد عبدة ورشيد رضا وجمال الدين الافغاني واتسمت بسمات الأفكار الوهابية المتشددة ، وكان الهدف من ذلك تطهير الإسلام في الجزائر من الممارسات التي لا تتفق مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، عن طريق التربية والكتاب والصحافة ، وان يجعلوا السلف الصالح مثلهم الأعلى (١٩) لذا أطلقوا على أنفسهم اسم السلفية⁸.

وتوسل الشيخ بن باديس بوسائل عدة لأجل تحقيق غاياته ، منها نشر افكاره بالدفاع عن قيم الجزائر الروحية والمادية ، ومن تلك الوسائل إصدار جريدة (المنتقد) سنة 1925 ، والتي أغلقت ومنعت من الصدور بعد العدد الثامن عشر ، لأنها كانت في رأي الإدارة الإستعمارية تحريضية ، ولم يفتم ذلك من عضد الشيخ ولم يهبط عزيمته ، إذ أصدر بعدها عدة منشورات دورية أشهرها جريدة "الشهاب الأسبوعية" ، والتي بث فيها آرائه الإصلاحية ، واستمرت كجريدة لغاية 1929 ثم تحولت الى مجلة شهرية علمية وكان شعارها " لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها"⁹

اعتنى الشيخ ابن باديس بالثقافة الجماهيرية ، محور عمله انصب على بناء نخبة متميزة بالعلم والأخلاق والفضائل وحب الوطن والتحرر من الاستعمار ، مؤهله لقيادة المجتمع نحو التحرر والإستقلال ، وتكون عقل الأمة ومرجعيتها وقيادتها ، وأدرك أهمية الدور الذي تضطلع به المرأة ووجوب مشاركتها في بناء المجتمع ، ضمن المواصفات والأعراف الإسلامية ، وإن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين الرجل والمرأة ونتيجة لسياسة القمع والإرهاب والإبادة الجماعية

التي مارسها السلطات الفرنسية في الجزائر ، أصبح الشيخ ابن باديس يمقت فرنسا وسياستها الى حد قوله " لو طلبت مني فرنسا قول لا إله إلا الله لما قلتها " على الرغم من العروض المغرية المقدمة له من قبل الفرنسيين ، إذ عرضت عليه توليه رئاسة الأمور الدينية فلم يوافق وامتنع واستمر في جهاده ثابتا على مبادئه لم تقتصر توجهات واهتمامات الشيخ بالأمر الديني والعلمية فقط ، إذ شجع ونظم واشرف على بروز العديد من الفرق الموسيقية والمسرحية والأندية الرياضية عبر التراب الوطني صفوت القول إن أهم خصائصه الشخصية: انه من حملة القرآن ، غرست فيه العربية فأحبها وعمل أولا على نشرها واتخذ من تعاليم الإسلام مفردات في تعامله مع الآخرين، عمل معلم هدفه إنشاء جيل يأخذ على عاتقه مريبا في ربوع الجزائر لنشر العملية الإصلاح والتغيير فكان جل مبادئه

ثانيا : ترى في تيه القرآن الكريم ينهل منه فكريا . فأدرك وعلمنا أن للشيعة الإسلامية موردان أساسيان هما القرآن الكريم وألسنه النبوية الشريفة فهو القائل (الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني

. ثالثا : الشيخ بن باديس فقيه ضليع باللغة العربية ، وطني للعلم ساعيا . الاتجاه تحري النزعة ، سلفيا مجددا إليه محبا في فهم القرآن الكريم ككتاب ، تلك المفاهيم وغيرها بلورة أفكار متجددة في العمل التربوي عند الشيخ بن باديس في الجانبين الإصلاح والسياسي استثمارها في معالجة قضية وطنه الجزائر التي كانت تعاني من الثالث البوائبي المرض والجهل والفقر . أهم ما يتميز به وضوح خطة منهجه الذي نجح فيه بينما فشل فيه غيره من بلاد الشرق إذ انتهى ثائرا . بدأ مصلحا

رابعا : بن باديس على أعداد نشئ جديد تميز بتربيته عزم القائمة على الأخلاق والفضائل العربية الإسلامية متشعبة بقيم الإسلام الأصيل . جعل الشعب الجزائري يؤمن بان الحرية لا توهب بل تؤخذ وتتزع وهذا يدعو إلى الكفاح المسلح والثورة ضد المحتل . إلا انه كان يتردد من إعلانه خشية أن تكون متطلباتها غير مكتملة ومن بين تلك المتطلبات إعداد نشئ جديد يؤمن ويعمل على ذلك . خامسا : وبذلك أصبح الشيخ بن باديس أمودجا تأثر وأثر في مجريات الفكر العربي الإسلامي التحري ، له منهجا يسعى إلى التغيير والتحرر و في أعداد

جيل جديد مهياً فكرياً الإصلاح ، وقدر لذلك الجيل أو النشء أن يكون مادة الثورة الجزائرية فيما بعد¹⁰ ، ودعا ابن باديس إلى إعطاء المرأة دورها الصحيح في المجتمع. وأخيراً فهو ذلك العالم المتواضع المتقشف الحليم المتسامح. عزز ثقة الجزائريين بأنفسهم مبدعاً وقدراتهم على انجاز مهام الثورة والتحرير وهو مصلحاً أفنى حياته وسياسته وسني عمره في سبيل تحرير بلاده مجاهداً وعزّة وكرامة شعبه.

يقول ابن باديس: "فهمت الأمة كل هذا وفهمت أنّ هذا القانون سلاح جديد حديد أشهر لمحاربتها في أعز عزيز عليها، وأقدس مقدس لديها وهو قرآنها ودينها ولغة قرآنها ودينها .. ففهمت الأمة هذا الشرّ وكيد المدبرين لدينها وقرآنها ولغة قرآنها ودينها. وفهمت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين الممثلة للأمة في دينها وقرآنها ولغة دينها وقرآنها والتّاطقة في الدفاع عنها. ويحسم ابن باديس هذا وللأمة على ذلك الدفاع إلى آخر رمق من حياتها "الصّراع القائم بين رواده وبني خصوم العربية و الإسلام بلهجة صريحة لا جَمَمَة فيها، قائلاً: "قد فهمنا - ما يراد بنا وإننا نعلن خصوم الإسلام والعربية أنّنا على المقاومة المشروعة عزمنا، وسنمضي -بعون الله- في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدنا. وإننا على يقين من أن العقاب - وإن طال البلاء- لنا والنصر سيكون حليفنا-¹¹ ."

2.2 مفهوم الوطنية والقومية عند ابن باديس :

إن الوطنية عند ابن باديس لا تختلف دلالتها عما هو متداول في كافة البلاد العربية الأخرى، فهي نسبة إلى الوطن المتمثل في التراب أو القطر الجغرافي (المحدد باسمه وجنسية دولية) أما القومية فهي نسبة إلى القوم الذين يمثلون كامل أفراد الأمة. وبناء على ذلك فإن الجزائر تراباً وشعباً وسيادة وسياسة واستقلالاً لا تمثل إلا إحدى الدول الهامة في الأمة العربية الإسلامية. فيؤكد ذلك في مناسبة أخرى بقوله: "ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دماها، ولكنه يتوقف على اتحاد قلوبها، وأرواحها اتحاداً يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال"، إلى أن يقول تكاد لا تلخص أمة لعرق واحد، وتكاد لا توجد أمة لا تتكلم بلسان

واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها، ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد".¹²

3. جهاد ابن باديس ودفاعه المستميت عن الهوية الوطنية :

لقد ظل الإمام طوال جهاده الطويل واقفا بالمرصاد لكل من يقدرح أو يشك في ثوابت الجزائر وهويتها العربية الإسلامية أو ينشر تصريحات يزيّف فيه الحقائق، وكانت الصحافة بالنسبة له المنبر الذي يعتليه ليسمع خصومه صوته ورأيه.

ومن ذلك رده الشهير والعنيف على النائب الجزائري (في المجلس الفرنسي) الذي قال: "إنه استقرأ التاريخ الماضي والحاضر فلم يستطع أن يعثر على ما يمكن أن يسمى بالأمة الجزائرية أو الوطن الجزائري"¹³ فرد عليه ابن باديس في مقال بعنوان: (كلمة صريحة) جاء فيه: لقد قال أحد النواب: "إنه فتش عن القومية الجزائرية فلم يجد لها من أثر، وفتش عنها في الحالة الحضارة فلم يعثر لها على خير، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا "... إن هؤلاء المتكلمين باسم المسلمين الجزائريين والذين يصورون الرأي العام الجزائري بهذه الصورة إنما هم مخطئون يصورون الأمور بغير صورتها... لا يا سادتي نقول لكم: إنكم من هذه الناحية تمثلونها، ولا تتكلمون باسمنا، ولا تعبرون عن شعورنا، إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، وهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة، وعوائدها وأخلاقها... ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا، ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود ومعين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"¹⁴

وهكذا شن ابن باديس حربا لا هوادة فيها على دعاة الاندماج والتجنس لأنه يرى في هذين التيارين أكبر خطر يهدد الجزائر، لأن نتيجة الفكرتين بالنسبة إليه شيء واحد.

فكرة الاندماج التي كان يرى أصحابها أنها الطريق الذي يحقق به الجزائريون حقوقهم ويحصلون على الامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون لا تخرج عن كونها تنازلا عن الشخصية الوطنية.

وفكرة التجنيس هي الأخرى تؤدي إلى النتيجة نفسها غير أن الأولى تمثل مطلبا جماعيا، نادت به بعض الأحزاب، وبعض المثقفين، وأما الثانية فهي تمثل مطلبا فرديا (فكل من أراد أن يحصل على الجنسية الفرنسية عليه أن يتقدم لذلك حسبما ينص قانون 1865 الذي ينص على أن الجزائري لا ينال الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي إلا إذا تجنس بالجنسية الفرنسية¹⁵

وحين أصبح للتجنيس دعاة متحمسون خاض رئيس جمعية العلماء حملة على هؤلاء الدعاة، ثم أصدر الفتوى الشهيرة بتفكير المسلم المتجنس، وهي كما يلي: << ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي، فهو كافر مرتد عن دينه بإجماع المسلمين، لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظيرة الشرع الشريف حتى يرفض رفضا باتا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين.¹⁶

4. معالم الهوية في الخطاب الباديسي :

لا يمكن أن نبرز هوية فرد أو أمة إلى سلم الحضارة إلا إذا وضحت معالم الفرد فيها و الجماعة ، وابن باديس مصلح حاول استعادة قسماات الأمة الجزائرية الغائبة وما كان ليتأتى له ذلك لولا وضوح معالمه وبصماته الحضارية المميزة له ، حيث وصفه مالك ابن نبي " لقد كان ابن باديس مناضرا مفحما ، مريبا بناء، ومؤمنا متحمسا... وهو كذلك وطني مؤمن... " ¹⁷ كما كان يتميز بوطنيته السليمة حيث يقول عنه كذلك مالك بن نبي " ...والشعور المتدفق يغدو لديه فيضا شعريا عندما ينظم قصائده التي قدر لها أن تعيد إلى الشعب الجزائري أبعاده الحقيقية في التاريخ الاسلامي في فترة كان أطفال الجزائر يدرسون ويعلمون تاريخ أجدادنا... " وفوق ذلك كان ابن باديس مصلحا اقترن اسمه وأثره بتاريخ هذا البلد في مرحلة سياسية كانت تعده للثورة¹⁸

انطلق الشيخ ابن باديس يدافع عن الأمة الجزائرية منطلقاً من مبادئ وغايات واضحة باحثاً فيها عما تبقى من أطلالها الخاضعة لجبروت وقهر الاستعمار حيث كتب في المنتقد قائلاً : " ...نحن قوم مسلمون جزائريون في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو الى كل كمال انساني ونحرص على الأخوة و السلام بين شعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنأنا لأننا نعلم أنه لايقدر الناس أن يعيشوا بلا دين وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها .." 19

كانت فكرة القومية و الوطنية واضحة المعالم في الفكر والخطاب الباديسي حيث يقول:
" ..ولأننا جزائريون نعمل للم شمل الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع و العمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانفتاح في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية .." ان ابن باديس يدعو إلى العمل لتوحيد الأمة كما يدعو لحب الوطن وخدمته 20

إن لمفهوم الأمة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس أبعاداً ترتكز على مقومي «العقيدة» «واللسان»، فالشعب الجزائري مسلم وإلى العروبة ينتسب، هكذا يحدد الشيخ المقومات التي تصنع وجود الأمة بمرجعياتها الثقافية المتأصلة في الذات الجزائرية، والتي يتقاسمها وشعوب عدة حاولت الجغرافيا تضيق افاق توافقاتها التاريخية واللسانية والعقائدية. لقد شكلت نضالات ابن باديس تجسيدا عمليا لمفهوم الأمة ؛ ذلك المفهوم النابع من وعي عميق ومتجذر بالانتماء، انتماء أكبر من الأرض والتراب توطئه جوامع ترتكز على ثوابت تنبني عليها الشخصية الجزائرية، وبذلك كان المفهوم يمثل هدفاً تربوياً يبتغي الشيخ ترسيخه، باعتباره استراتيجية تؤسس حصانة للهوية، ومن ثم كانت الجهود الإصلاحية للشيخ بمثابة تأهيل لمفهوم الأمة. فالأمة عند الشيخ كيان يرتبط بظروف تهيء وجوده وتبسط تحققه: وأولها الحرية، ذلك أن الحرية تحيل إلى القدرة على اتخاذ القرار في الأمم المغلوبة على أمرها.. لا تستطيع أن تصنع أمراً لنفسها فكيف تستطيع أن تصنعها لغيرها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فكيف تستطيع أن تدافع عما تقرره مع غيرها، وهي لم تستطع أن تعتمد على نفسها

في داخليتها، فكيف يعتمد عليها في خارجيتها؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول. وبذلك تفتقد الأمة بالمفهوم الشامل عند ابن باديس لأهم ركيزة لقيامها كوحدة أو ككيان له وجوده العيني وليس النظري فحسب، وهذه الركيزة يعقدها الشيخ في الوحدة السياسية للأمة²¹

5. إشكالية الهوية عند فرحات عباس :

إن أول مفهوم يواجهنا عند التطرق لقضية الهوية كونها تمثل الاختلاف عن الآخر يبرز في خطاب فرحات عباس الشاب الذي نجده يطالب " بإحداث إصلاحات اجتماعية في إطار النظام الاستعماري تحت سيادة الحكومة الفرنسية، بحيث تسمح تلك الإصلاحات بالحصول على كامل حقوق العضوية في المجتمع الفرنسي كما هو الحال بالنسبة إلى المواطنين المقيمين في هنا يرتفع الاختلاف بين الأنا و الآخر ليتحول إلى تماثل فتعدم بذلك الجزائر الهوية. لكن هذه العدمية قد تكون عاملا مساعدا على توحدنا و تكتلنا ، إن دعوة فرحات عباس إلى الإدماج و المساواة دفعته إلى تغييب الهوية العربية الإسلامية خاصة عندما قال: "إن الجزائر فرنسية و نحن فرنسيون الذي تقوم عليه الهوية. الدعوة إلى الإدماج قد غيب الأنا وأكد على حضور الآخر و هذا يخل بالمبدأ الثاني من مميزات الهوية الشعور بالانتماء إلى الدين الواحد، الذي يمثل مرجعية المرجعيات ومن مميزات كذلك الشعور بالانتماء إلى دولة أو إلى أمة أو إلى ثقافة أصيلة أو إلى وطن لكن مثل هذه المفاهيم تختفي في خطاب فرحات عباس .

لقد ارتكب خطأ "فادحا عندما قال : " و مع ذلك فلن أموت من أجل الوطن الجزائر ي ، لأن هذا الوطن لا وجود له، و لم أكتشف هذا الوطن ، لقد ناقشت التاريخ وسألت الأحياء و الأموات و زرت المقابر ، فلم يحدثني عن هذا الوطن إن استنطاق هذه المقولة تجعلنا نتساءل :أين الجزائر الأمة والوطن و الدولة .و الجواب أن كل هذا خرافة عند فرحات عباس.إن مثل هذا التصور يعكس حالة من الاغتراب الثقافي و الهوياتي لدى النخبة المثقفة ثقافة فرنسية.

ثم إن هذا الخطاب يخفي وراءه أن الجزائر لم تكن أمة ولم تنعم أبدا بالسيادة و إنما كانت مسرحا للنهب الأجنبي الدخيل .جملة من الأبعاد الخطيرة على مستقبل الجزائر.

انطلاقا من هذا الموقف يمكن القول أن خطاب فرحات عباس يهدف إلى كونه يصب في فرضية أن العرب المسلمين كانوا مجرد دخلاء مستعمرين لا فاتحين فهم لا يختلفون عن باقي الوافدين إلى أرض الجزائر عبر التاريخ. بذلك يكون البربر. قد روج لمقولة أن العرب مجرد غازين لا فاتحين للسكان الأصليين و هم الأمازيغ و من نتائج ذلك، خلق فلسفة اندماجية“ تحاول اختصار معادلة التمييز على أساس الجنس في قيمة مركزية هي المساواة دون الطعن في مكاسب الفرنسيين من المعمرين، بل فقط نيل حقوق لا تشكل خطرا على الوضع القائم كما فرضته الإرادة الاستعمارية، ذلك أنها تبرز إمكانية العيش المشترك تحت راية فرنسا الأم مهما كانت الاختلافات في القيم يظهر من خطاب فرحات عباس الشاب أن هاجسه كان في المطالبة بمساواة الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق، أي في امتلاك حق المواطنة. ولا تمه هوية الأيديولوجية الفرنسية الداعية إلى تغريب المجتمع الجزائري²²

أما في الخطاب الإصلاحية: إن طرح الهوية بالشكل الذي نادى به التيار الاندماجي و على رأسه فرحات عباس هيج الطرف الأخرى، نتيجة الشعور بالاغتراب. فكانت الردود عنيفة و مباشرة. قوية للخروج من هذه الحالة المأساوية التي أوجدها المشروع الاستعماري و من يمثل الطرف الثاني أنصار القومية العربية الإسلامية مثلا في” جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورجال الطرق الصوفية ، و تؤيده سياسيا حركة نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب الجزائري، و حركة أحباب البيان والحرية و حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و جبهة التحرير الوطني الجزائرية سنة 1954 الذي كان يطالب. بتحرير الجزائر دون التخلي عن ثقافتها الإسلامية ، مقاوما في ذلك كل دعوة إلى يتأسس الخطاب الإصلاحية بزعامة عبد الحميد بن باديس على العقيدة السلفية و المذهب المالكي.

وبذلك يمكن الجزم أن مرجعية الخطاب الإصلاحية عند الجمعية ”مرجعية دينية خالصة سحبت معها مباني الهوية القائمة على اللغة العربية والعمق التاريخي للمجتمع الجزائري بقيمه التي تربطه بالعالم الإسلامي لقد كان رد الجمعية قاسيا و نابعا من عقلانية واقعية مفادها أن ”الفرد الجزائري لم يعد يستطيع تعريف نفسه لا ضمن الإطار الفرنسي لأنه يضل مرفوضا لا يستحق حتى تعريفه كمواطن بالحصول على الجنسية ، أو بالاعتراف بهويته الوطنية²³

6. خاتمة

إنّ التاريخ المشترك لهذه الأمة هو ما كرس هوية وطنية ببعدها الإسلامي و العربي والأمازيغي، وهو الضامن الأساسي للحفاظ على هذه المقومات، التعايش المشترك الذي جمع الأمازيغ والعرب منذ أواخر القرن السابع الميلادي في أرض واحدة لم يطرح أزمة بين أبناء الوطن الواحد . تجربة الجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي أثبتت ان رغم عمليات الإبادة والقهر المادي مهما بلغت قسوتها فإنها لا يمكن أن تحول ولاء الناس وتغير مشاعرهم وتبدل شخصيتهم ، وهو ما أكدته أدبيات الحركة الوطنية، كما إن صلابة الجزائريين تجلّت غداة ثورتهم في إعلان هويتهم الإسلامية و التمسك بها باعتبارها تشكل الحرية والاستقلال والتميز الحضاري وهو ما أكدته أيضا موثيق الثورة الجزائرية.

7. الهوامش

- ¹ مجلة الشهاب قسنطينة، عدد فبراير 1938 ينظر كذلك مولود بن زادي، " أزمة اللغة و الهوية في الجزائر وخطر اندلاع حرب الجزائر الأهلية الثانية؟"، جريدة رأي اليوم، 8 نوفمبر 2017 ص، 710
- ² أمين نايف حسين ذياب، الهوية والتراث، نادي الحصن الثقافي، <http://www.mutazelah.com/articles/70>
- ³ رضوان شافو : اشكالية مفهوم الهوية الجزائرية عند الجزائريين ، المؤتمر الوطني الأول حول اشكالية الهوية يومي 28/27 نوفمبر 2018 ، جامعة الوادي ، ص 67-68
- ⁴ رايح، تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د، ط، د، ت، ص13
- ⁵ طارق نافع الحمداي، موسوعة أعلام العرب ، ج1، 1 ط، بغداد، 2000، ص 289
- ⁶ رشيد الذواوي، رواد الاصلاح ، ط 2 ، تونس ، 1983، ص 123
- ⁷ رشيد الذواوي ، المصدر السابق ، ص 123-124
- ⁸ حازم مجيد أحمد الدوري : عبد الحميد بن باديس حياته ودوره السياسي والثقافي 1889-1940 جامعة سامراء، العراق ، مجلة جامعة زاخو 12 تشرين الثاني 2013 ، المجلد 1 العدد2 ص : 316
- ⁹ . المرجع نفسه ، ص 322-323
- ¹⁰ خير الدين الزركلي ، الأعلام ، 3 ، ط 17 ، بيروت ، 2007 ، ص289.
- ¹¹ - طالي: ابن باديس حياته وآثاره، ج3 ، ص 244-245

- 12 مجلة الموقف العربي عدد جانفي 1979م.
- 13 فتحى عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية ص132
- 14 مجلة الشهاب ، عدد سنة 1936
- 15 رابع تركي، المرجع السابق، ص71
- 16 عبد القادر فضيل وأ/ محمد الصالح رمضان، << إمام الجزائر >> دار الأمة الجزائر، 1966، ص52
- 17 عمار طالي : ابن باديس حياته وآثاره، دار البقضة العربية ، بيروت ، 1968، ص10
- 18 المرجع نفسه ، ص10-11
- 19 المنتقد ، عدد جويلية 1925
- 20 الشهاب عدد سنة 1937
- 21 محمد الصلاحي : من كتاب كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ج2 ، أوت 2021
- 22 زواوي موفق : اشكالية الهوية الوطنية في تاريخ الجزائر بين الخطابين الإدماجي والإصلاحي فرحات عباس و عبد الحميد ابن باديس نموذجا ، ع26، جامعة تلمسان ، 2019، ص 102-106
- 23 المرجع السابق ، ص 105-106

8 - قائمة المصادر والمراجع

- أمين نايف حسين ذياب، الهوية والتراث، نادي الحصن الثقافي،
<http://www.mutazelah.com/articles/70>
- 2-حازم مجيد أحمد الدوري: عبد الحميد بن باديس حياته ودوره السياسي والثقافي 1889-1940 جامعة سامراء، العراق ، مجلة جامعة زاخو 12 تشرين الثاني 2013، ، المجلد 1 العدد2:
- 3-جريدة ر أي اليوم، 8 نوفمبر 2017
- 4-خير الدين الزركلي ، الأعلام ، 3 ، ط ، 17 ، بيروت ، 2007،

- 5- رايح، تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د، ط، د، ت)،
- 6- رضوان شافو : اشكالية مفهوم الهوية الجزائرية عند الجزائريين ، المؤتمر الوطني الأول حول اشكالية الهوية يومي 28/27 نوفمبر 2018 ، جامعة الوادي
- 7- رشيد الذواوي ، رواد الاصلاح ، ط 2 ، تونس ، 1983،
- 8- زواوي موفق : اشكالية الهوية الوطنية في تاريخ الجزائر بين الخطابين الإدماجي والاصلاحي فرحات عباس و عبد الحميد ابن باديس نموذجا ، ع26، جامعة تلمسان ، 2019،
- 9- طارق نافع الحمداني ، موسوعة أعلام العرب ، ج 1 ، ط 1 ، بغداد ، 2000،
- 10- عبد القادر فضيل وأ/ محمد الصالح رمضان، " إمام الجزائر " دار الأمة الجزائر، 1966.
- 11- عمار طالي : ابن باديس حياته وآثاره، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1968،
- 12- فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية
- 13- مولود بن زادي، " أزمة اللغة و الهوية في الجزائر وخطر اندلاع حرب الجزائر الأهلية الثانية؟"
- 14- مجلة الشهاب قسنطينة، عدد فبراير 1938

15-مجلة الموقف العربي عدد جانفي 1979م.

16-مجلة الشهاب ، عدد سنة 1936

17-المنتقد ، عدد جويلية